الدبلوماسية وإدارة الوعي: دراسة حالة ـ العراق والولايات المتحدة الأمريكية

د.غدير عبد الرسول شواي
قسم الدراسات السياسية

الملخص

يتناول هذا البحث توظيف الولايات المتحدة الامريكية للدبلوماسية العامة، الاتصالات الاستراتيجية وعمليات المعلومات (Information Operations) كأدوات للتأثير على وعي الجمهور وادارة البيئة السياسية والأمنية في العراق منذ 2003 وحتى المراحل اللاحقة لصالحها، مع مقارنة دور الفاعلين العراقيين المحليين والتحديات التي واجهت جهود التأثير والاتصال، وقد اعتمد البحث على الاطار النظري والذي تناول مفهوم "القوة الناعمة" والدبلوماسية العامة، ويستند إلى دراسات حالة، تقارير مؤسسات بحثية، وتحليل سياسات رسمية وغير رسمية، وتوصل البحث إلى أن إدارة الوعي من قبل الولايات المتحدة الامريكية شكلت أحد ساحات الصراع السياسي في العراق، وأن خلط الأدوات العسكرية والسياسية والاتصالية أثار إشكاليات أخلاقية وفعالية مستقبلية.

كلمات مفتاحية : الدبلوماسية العامة، إدارة الوعي، عمليات المعلومات، العراق، الولايات المتحدة، القوة الناعمة، الاتصال الاستراتيجي.

Abstract

This study examines the United States' use of public diplomacy, strategic communications, and information operations as tools to influence public awareness and manage the political and security environment in Iraq from 2003 onward, in ways that served its interests. It also compares the role of local Iraqi actors and the challenges faced by influence and communication efforts.

The research is based on a theoretical framework addressing the concept of "soft power" and public diplomacy, and it draws upon case studies, research institute reports, and analyses of official and unofficial policies.

The study concludes that awareness management by the United States constituted one of the arenas of political conflict in Iraq, and that the blending of military, political, and communicative tools raised both ethical and future effectiveness concerns.

Keywords : Public Diplomacy, Awareness Management, Information Operations, Iraq, United States, Soft Power, Strategic Communication.

المقدمة

في عصر المعلومات والتطور الحاصل اصبحت الحدود بين السياسة والدعاية والدبلوماسية تتداخل، اذ ان «إدارة الوعي» كمصطلح يشير إلى الجهود المنهجية التي تبذلها الدول والجهات الفاعلة لقلب فهم الجمهور حول حدث أو سياسة أو مسألة أمنية لصالحها، اذ ان الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى ذات أدوات متعددة دبلوماسية وسياسية وثقافية وعسكرية، وظفت مجموعة واسعة من هذه الأدوات في العراق منذ غزو 2003 وما بعده من احتلال، إعادة بناء، وصراع داخلي، لذا فأن هذا البحث يحلل أساليب الدبلوماسية وإدارة الوعي التي استخدمتها الولايات المتحدة الامريكية وكيف واجهها المجتمع العراقي او تفاعل معها.

إشكالية البحث

تستند اشكالية البحث على عدة اسئلة منها كيف وظفت الولايات المتحدة الامريكية أدوات الدبلوماسية العامة وإدارة الوعي في العراق بعد عام 2003؟
وما مدى نجاح هذه الأدوات في تحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية الأمريكية؟
وما الإشكاليات التي ظهرت نتيجة دمج العمل العسكري بالدبلوماسي والإعلامي؟

فرضية البحث

يقوم البحث على فرضية مؤداها أن الولايات المتحدة الامريكية من خلال دمجها أدوات الدبلوماسية العامة مع العمليات العسكرية والإعلامية، استطاعت تحقيق تأثير مؤقت على الرأي العام العراقي، لكنها فشلت في ترسيخ صورة إيجابية دائمة بسبب غياب التخطيط الثقافي المتكامل وضعف الفهم المحلي.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى دراسة الظواهر السياسية والإعلامية من خلال تحليل الوثائق الرسمية، والتقارير الأكاديمية، والدراسات السابقة ذات الصلة بالدبلوماسية العامة وعمليات المعلومات. كما يستخدم منهج المقارنة بين الخطاب الأمريكي الموجّه للعراقيين وبين ردود الأفعال داخل البيئة المحلية.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يسلّط الضوء على أحد أكثر جوانب السياسة الخارجية الأمريكية حساسية، وهي إدارة الرأي العام في الدول التي خضعت لتدخل مباشر. كما أنه يسهم في إثراء الدراسات العربية حول الدبلوماسية العامة من خلال تقديم تحليل معمّق لتجربة العراق كحالة نموذجية.

المبحث الأول: اطار نظري مفاهيمي

يتناول هذا المبحث المفاهيم ذات الصلة بموضوعة الدراسة ومنها مفهوم الدبلوماسية العامة والذي يعد من المفاهيم التي تطورت في النصف الثاني من القرن العشرين، اذ ان الدبلوماسية مفهوم قديم جداً الا ان التطور الحاصل طرأ عليه تغييرات ، فلم تكن الدبلوماسية سابقاً مثل ماهي عليه في وقتنا الحاضر، فقد مرأت عليها تطورت وتحولات فبعد ان كانت تستعمل في اوقات السلم والحرب، اضحت اليوم احدى ادوات السلم وحل النزاعات بالطرق السلمية، وكلما كانت الدبلوماسية مرنة وناجحة تمكنت من تحقيق اهدافها، ان الدبلوماسية هي علم وفن فهي تضم في جوهرها موضوعاً واضحاً ومحدداً في مفهومه وأطاره، فهي علم لكونها تستند على قواعد وقوانين وأصول، وهي فن لأنها مهنة دقيقة تحتاج إلى مهارات خاصة، الا ان المفكرين والدبلوماسيين قد اختلفوا في تعريفها، ولعل السبب في ذلك يعود الى ان كل معني بالشؤون الدبلوماسية يركزعلى جهة او موضوع دون الآخر، فقد عرفها الدبلوماسي البريطاني الشهير" ارنست ساتو (ان الدبلوماسية استعمال الذكاء والكياسة فى ادارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة)،في حين جاء تعريف الفقيه الذائع الصيت "شارل كالفو" بأنها : (علم العلاقات القائمة بين الدول المنبثقة عن مصالحها المتبادلة، وعن مباديء القانون الدولي واحكام الاتفاقات)، اما الفقيه الدولي "شارل دي مارتنس" فأنه يعرف الدبلوماسية بأنها (علم العلاقات وبمعنى ادق علم او فن المفاوضات) ، وعند وقوفنا على تعريف الكاتب "ريفيه" نجد انه يعرف الدبلوماسية (انها (علم) تمثيل الدول وفن اجراء المفاوضات) ([1]).

كما تتنوع وجهات نظر فقهاء القانون الدولي في تعريف الدبلوماسية فمنهم من يعرفها بشكل محدد ومنهم من عرفها بشكل عام، اذ يرى البعض أن الدبلوماسية هي أداة رئيسة تستخدمها الدولة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية والتأثير على الدول والجماعات الخارجية بهدف استمالتها وكسب تأييدها- وهو موضوعنا-([2])، اذ يشير المفهوم إلى الجهود الاتصالية التي تقوم بها الدول للتأثير في الرأي العام الخارجي بما يخدم مصالحها الاستراتيجية، ويعرف "إدموند غوليون" الذي صاغ المصطلح لأول مرة عام 1965، أن الدبلوماسية العامة (هي استخدام وسائل الاتصال لتوضيح سياسات الدولة للجماهير الأجنبية بغرض التأثير في مواقفها وسلوكها)، أما "جوزيف ناي" والذي طور المفهوم لاحقًا ضمن نظريته عن "القوة الناعمة"، وعرّفها بأنها "القدرة على الحصول على ما تريد من

([1]) د.فاضل محمد زكي، الدبلوماسية في عالم متغير، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1992، ص25-26.

([2]) د.منى حسين عبيد، السياسة الخارجية والاداء الدبلوماسي العراقي، المجلة السياسية والدولية، العدد (41-42)، 2019، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، ص247-248.

الآخرين عبر الجذب والإقناع بدلاً من الإكراه"، وبذلك، تصبح الدبلوماسية العامة أداة تنفيذية للقوة الناعمة من خلال التواصل الثقافي والإعلامي والتعليمي([3]).

اما بالنسبة للمفهوم الاخر وهو ادارة الوعي ويعني "عملية تنظيم وتوجيه الإدراك الجمعي في المجتمع المستهدف من خلال السيطرة على تدفق المعلومات والصور والأفكار، بحيث يتم تشكيل قناعات واتجاهات معينة تتماشى مع مصالح الجهة الفاعلة"، وتقوم إدارة الوعي على ثلاث ركائز أساسية: التحكم في الخطاب، توجيه الرموز الثقافية، وبناء الصورة الذهنية، كما يعرف "فيليب تايلور" أن "إدارة الوعي تعد استمراراً للحرب بوسائل إعلامية ونفسية أكثر دقة وتأثيراً"، وهي بذلك تشكل مزيجاً من الدعاية السياسية والتأثير الاتصالي الممنهج([4]).

المبحث الثاني: السياق التاريخي والسياسي للعراق بعد عام 2003

يعد عام 2003 نقطة تحول حاسمة في التاريخ العراقي المعاصر،وذلك بعد الغزو الأميركي للعراق وسقوط النظام البائد الذي شكل بداية مرحلة جديدة كانت مرحلة مليئة بالتحولات الجذريةعلى جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة، اذ لم تقتصر آثارها على العراق فحسب، بل امتدت لتشمل مجمل المحيط الإقليمي في الشرق الأوسط، كما أعادت صياغة موازين القوى وطرحت مشاهد معقدة تتعلق بالهوية، والسيادة، وبناء الدولة، اذ كان العراق قبل عام 2003 ذو نظام سياسي مركزي استبدادي، فقد مهد هذا السياق من العزلة والضغوط الاقتصادية والسياسية الطريق لتبرير التدخل الخارجي، ناهيك عن ان العراق كان محكوم بحزب البعث ذو النظام الاستبدادي الذي هيمن على مفاصل الدولة كافة، مع عزلة دولية خانقة بسبب العقوبات المفروضة عليه بعد حرب الخليج الثانية عام 1991، لذا استغلت الولايات المتحدة الامريكية هذه العزلة لتبرير تدخلها العسكري بحجة امتلاك العراق أسلحة دمار شامل وارتباطه بالإرهاب الدولي([5]).

وعليه فأن الاحتلال الأمريكي للعراق بعد العام 2003، والإعلان أن الهدف الرئيس للغزو هو إسقاط النظام و الذي يؤدي إلى نزع أسلحة الدمار الشامل التي كان يمتلكها النظام البائد وقيام مجتمع مدني ديمقراطي نشط إلا صورة من صور الاحتلال، فلم يكن الاحتلال الأمريكي للعراق إلا استمرار للاحتلال بصورة جديدة، أي أن كلاهما كان مكملاً للآخر في انتهاك فكرة الحق وسيادة الفرد والمجتمع والدولة، فليس مصادفة أن تتشابه شعاراتهما الداعمة لمواقفهم العملية، فكانت النزعة الحاكمة في العراق وعلى امتداد السنوات الماضية ما قبل العام 2003 نزعة ثنائية المحتوى، إزاء الهوية بين الاثنية العربية والوطنية وظلت هذه النزعة مسيطرة على التفكير السياسي كله بمعزل عما كان يعاني

([3])Philip Taylor, Munitions of the Mind: A History of Propaganda from the Ancient World to the Present Day, Manchester University Press, 2003, p. 311.

([4]) جوزيف ناي، القوة الناعمة: وسيلة للنجاح في السياسة العالمية، نيويورك: PublicAffairs، 2004.22، ص.

([5]) ابراهيم العساف، التحولات السياسية والاقتصادية في العراق بعد عام2003، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد(55)،2018، مركز المستنصرية للدراسات، ص144.

منه العراق من مشكلات ومصاعب فأنتجت تناقضات وازدواجية في المعايير ومتضادات عامة في الداخل، أي كان هناك نفي للهوية الوطنية العراقية مقابل الهوية الدكتاتورية التسلطية، فكان الشعار الوحدة والحرية، أما الغزو الأمريكي فقد عمق التحلل تحت شعار التحرير والحرية والديمقراطية فكان الغزو مقبولاً في بعض جوانبه لأغلبية المعارضة الديمقراطية والثورية والوطنية والقومية والإسلامية وغيرها([6]).

فقد بدأت في 9 نيسان/أبريل 2003، مرحلة الاحتلال المباشر بقيادة سلطة الائتلاف المؤقتة (CPA) التي رأسها بول بريمر وقد اتخذت هذه السلطة قرارات مصيرية، أبرزها حل الجيش العراقي واجتثاث حزب البعث، وهي إجراءات كانت لها تداعيات على الأمن والاستقرار الداخلي([7]).

أدت السياسات التي اتبعها الغرب إلى فراغ مؤسسي هائل والذي تمثل بأنهيار أجهزة الدولة وتفكك البنية الاجتماعية، الامر الذي خلق بيئة خصبة لظهور الجماعات المسلحة والانقسامات الطائفية، وفي عام 2004، صدر "قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية" الذي مهد لاعتماد دستور دائم سنة 2005، ورسخ المحاصصة الطائفية كأساس لتقاسم السلطة، ورغم المظاهر الديمقراطية الشكلية التي رافقت أول انتخابات عامة، فإن النظام السياسي ظل هشاً يفتقر إلى الاستقرار المؤسسي ويعاني من الفساد والانقسام ([8]).

شهد العراق بين عامي 2004 و2008، واحدة من أكثر المراحل دموية في تاريخه الحديث، إذ تصاعدت أعمال العنف الطائفي عقب تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء عام 2006، وتحول النزاع السياسي إلى صراع أهلي وغاب اثنائها الامن العام والسكينة وتمدد الارهاب بعدها([9])، لتستمر سلسلة الارهاب في عام 2014 والمتمثلة باجتياح تنظيم "داعش" مساحات واسعة من الأراضي العراقية، مما كشف عن هشاشة النظام الأمني والسياسي الذي أُعيد بناؤه تحت الإشراف الأمريكي، وبالرغم من انسحاب القوات الأمريكية رسميًا عام 2011، فإن النفوذ السياسي والأمني للولايات المتحدة الامريكية ظل قائمًا من خلال الاتفاقيات الاستراتيجية والمساعدات العسكرية والتعاون الاستخباري، الا أن حضور قوى إقليمية كإيران وتركيا أعاد تشكيل التوازنات الداخلية، وأضعف قدرة الولايات المتحدة الامريكية على إدارة المشهد العراقي كما كانت تفعل خلال سنوات الاحتلال المباشر([10]).

([6]) د فرزدق علي التميمي، التنمية السياسية وازماتها في العراق بعد عام2003، مركز الرافدين للحوار، بيروت–لبنان، 2021، ص78.

([7]) نغم نذير شكر، البناء السياسي في العراق بعد عام2003(الواقع وافاق المستقبل)، مجلة حمورابي، العدد(50)، بغداد، 2024، ص184.

([8])Adeed Dawisha, Iraq: A Political History from Independence to Occupation, Princeton University Press, 2009, p. 257.

([9]) فالح عبد الجبار، الدولة والمجتمع المدني في العراق بعد 2003، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ص. 66.

([10]) نغم نذير ، مصدر سبق ذكره، ص189.

المبحث الثالث: آليات الولايات المتحدة الامريكية في إدارة الوعي والدبلوماسية العامة في العراق

اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ سقوط النظام البائد في نيسان 2003، سياسة مركبة تهدف إلى السيطرة على البيئة المعلوماتية والإعلامية العراقية، اذ لم تقتصر هذه السياسة على التغطية الإعلامية للأحداث، بل امتدت لتصبح مشروعاً متكاملًا لإعادة تشكيل الإدراك الجمعي للجمهور العراقي بما يتماشى مع تصوراتها لمستقبل النظام السياسي، وقد جاءت هذه الجهود في إطار ما يُعرف بـ "الحرب على العقول والقلوب" ، وهي سياسة استخدمت سابقاً في فيتنام وأفغانستان، ثم طبقت في العراق بدرجة تنظيم اكبر([11]).

وعليه وظفت الولايات المتحدة الامريكية في عام 2003، مجموعة واسعة من الأدوات الإعلامية والدبلوماسية لإدارة الوعي في العراق. هذه الأدوات لم تكن محصورة بوزارة الخارجية، بل شاركت فيها مؤسسات عسكرية، منظمات غير حكومية، ووكالات استخبارية، وهو ما جعل المشهد معقداً ومتشابكاً، والتي يمكن تناولها على النحو التالي:

أولًا: الأدوات الإعلامية الرسمية والموجهة

تعد الولايات المتحدة الامريكية الرائدة الاولى في مجال الاعلام ، اذ تسيطر على أضخم المؤسسات والشركات الإعلامية على المستوى الدولي، ولها القدرة على التحكم في أغلبية الأخبار عبر العالم عن طريق أقمارها الصناعية وشبكاتها الإخبارية، كما أن صناعة الإعلام ذات مردود إقتصادي مهم لها في الوقت نفسه يعدوأداة سياسية قوية تعتمدها بشكل ذكي للسيطرة على مسار الأحداث عبر العالم او خلق تلك الاحداث إن استدعت مصلحتها ذلك، وتقوم الحكومة الأمريكية والأحزاب والجماعات السياسية المحلية والأسر النافذة بتمويل وإمتلاك البنيات التحتية الإعلامية، لكن الشركات التجارية والصناعية والمؤسسات الخاصة والعامة تعد في الحقيقة مركز الثقل الفعلي في هذا المجال لانها تمتلك اغلبية الأسهم في المجالس الإدارية لكبريات المؤسسات الإعلامية، وتتحكم في أدوات عملها المتمثلة في التجهيزات الالكترونية والتقنية العالية وشبكات التوزيع والتسويق للإعلانات والصحف([12]).

وعليه وبعد الاحتلال أنشأت سلطة الائتلاف المؤقتة في منتصف عام 2003 قناة "العراقية" والتي اصبحت صوت الحكومة الجديدة، الا انها خضعت عملياً للأدارة الأمريكية وبأشراف مباشر من قبل وزارة الدفاع الأمريكية عبر متعاقدين إعلاميين، كما عملت الولايات المتحدة الامريكية على

(11) هاشم حسن، الإعلام والديمقراطية في العراق الجديد، بغداد: جامعة بغداد، 2014، ص. 122.

(12) شيماء الهواري، وسائل الاعلام وصنع السياسة الامريكية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2017، ص14.

اطلاق قنوات إذاعية وتلفزيونية مثل "راديو سوا" و "قناة الحرة" والتي كرست جهدها للعمل على تحسين الصورة الذهنية لدى المتلقي للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، مستهدفة بذلك الفئة المهمة في المجتمع والمتمثلة بالشباب العراقي عن طريق برامج ترفيهية وثقافية متخذه من الخطاب السياسي المعتدل غطاءاً، الا أن هذه القنوات واجهت انتقادات محلية واسعة واتهامات بأنها تروج لرواية المحتل، الامر الذي أفقدها المصداقية رغم الإمكانيات المالية الكبيرة المخصصة لها([13]).

إلى جانب ماتقدم، قامت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) بالاهتمام بجانب الصحافة ايضاً وذلك عبر تمويل برامج "تدريب الصحفيين العراقيين" وذلك لتطوير ممارسات مهنية جديدة في الإعلام المحلي، كما أن جزءاً كبيراً من هذه البرامج وُجه لتبني نماذج خطابية تتماشى مع التوجهات الأمريكية في العديد من القضايا مثل الديمقراطية والشفافية، مما جعلها محل جدل سياسي واجتماعي داخل العراق([14]).

ثانيًا: الأدوات الثقافية والتعليمية

بالنسبة لهذه الاداة ونظراً لاهميتها فقد وظفت الولايات المتحدة الامريكية القوة الثقافية كأداة طويلة الامد لإعادة تشكيل الوعي العراقي، إذ أطلقت برامج تبادل أكاديمي مثل "فولبرايت"(*)، ومولت مراكز تعليم اللغة الإنجليزية، وقدّمت منحاً لطلبة الجامعات العراقية للدراسة في الولايات المتحدة أو الجامعات الإقليمية المتحالفة معها، كما دعمت مشاريع ثقافية تتعلق بحقوق المرأة وتمكين الشباب، ونظمت ندوات عن التسامح الديني والتعدد الثقافي، وتشير تقارير الخارجية الأمريكية إلى أن هذه البرامج استهدفت أكثر من 20 ألف مشارك عراقي خلال الفترة 2004–2012([15]).

لكن التحدي الأكبر الذي واجه الولايات المتحدة الامريكية وبرامجها تمثل في انعدام الثقة المجتمعية، إذ رأى بعض العراقيين في هذه المشاريع محاولة لزرع الثقافة الغربية عن المجتمع، وبدأت جهات معارضة تستهدف الوجود الامريكي.

([13]) عبد الجبار أحمد، الإعلام والسياسة في عراق ما بعد 2003، بغداد: دار المدى، 2018، ص. 44.

([14]) إياد العلي، الاتصال السياسي وإدارة الأزمات في الشرق الأوسط، عمان: دار وائل للنشر، 2016، ص. 102.

(*) فولبرايت: برنامج فولبرايت هو برنامج التبادل التعليمي والثقافي الدولي الرائد للحكومة الأمريكية، الذي يخلق روابط في عالم معقد ومتغير. بقيادة الحكومة الأمريكية و بالشراكة مع 160 دولة حول العالم، يقدم البرنامج فرصة ثمينة للكثير من الطلاب الموهوبين والمتميزين، والعلماء، والمعلمين، والفنانين، والمحترفين للدراسة، والتدريس، وإجراء البحوث، مما يساعد على بناء التفاهم المتبادل وإيجاد حلول للقضايا الدولية الحرجة. حيث يعزز برنامج فولبرايت للطلاب المقبولين فرص التعليم، ويقدم مساهمات هامة للمجتمعات في الخارج وفي الوطن الام. وكذلك, يوفر البرنامج فرصة ثمينة لتعزيز شبكة علاقات متينة مع آلاف الخريجيين الذين يخدمون كقادة في جميع انحاء العالم.، بالاضافة الى ذلك, يوفر البرنامج للمشاركين من العراق فرصة فريدة لمتابعة دراستهم العليا في الولايات المتحدة. كما يحصل المشاركون على فرصة مهمة وحيوية لتجربة الحياة في الولايات المتحدة ومشاركة ثقافتهم وتقاليدهم مع الأمريكيين. انظر: تقرير منظمة اميديست، برنامج فولبرايت، بغداد، 2023، على الموقع الالكتروني: https://www.amideast.org/ar/our-work/find-a-scholarship/graduate-study/fulbright/how-to-apply/7 تاريخ الدخول للموقع 2025/10/29

([15]) عمر عبد الكريم، الدبلوماسية العامة الأمريكية في العراق: دراسة تحليلية، بيروت: المركز العربي للأبحاث، 2020، ص. 87.

ثالثاً: الادوات النفسية والمعلوماتية

بعد ان اصبحت الولايات المتحدة الامريكية قوى عظمى بعد الحرب العالمية الثانية، جعلت سياستها الامنية وسيلة لضمان امنها ومصالحها الحيوية، اذ رأت ان أفضل وسيلة لتحقيق سياستها الأمنية يتمثل في زيادة توظيف قوتها الشاملة، وعلى كافة المستويات والتي من بينها (العمليات النفسية والقوة المعلوماتية)، وفيما يتعلق بالعراق نجد ان المصالح الاميركية الحيوية لعبت دوراً كبيراً في كيفية تعاملها مع المجتمع العراقي([16]).

ولأجل ذلك وظفت القيادة المركزية الأمريكية (CENTCOM) "العمليات النفسية" عن طريق وحدات تعمل على إدارة محتوى موجه عن طريق الإعلام الميداني، اذ تم إنتاج مئات المواد الصحفية والبصرية التي تُنشر في الصحف العراقية المحلية دون توضيح مصدرها او الإشارة إلى انها تخص الجانب الأمريكي، كما وجهت القوات الأمريكية مكبرات الصوت والرسائل النصية في المناطق الساخنة للعمل على بث رسائل تدعو إلى الهدوء أو تهديد الجماعات المسلحة، وهو أسلوب دعائي نفسي أكثر من كونه إعلامياً([17]).

اما بالنسبة لاثر المعلوماتية في طبيعة الحروب الحديثة، نجد انه وعلى الرغم تباين الآراء حول تصنيف الحرب التي شنت على العراق عام ٢٠٠٣ ، الا انها تعد حرب مزدوجة الاساليب نتيجة لما ذكر انذاك في ان الاستخبارات الاميركية المركزية قد تمكنت من السيطرة على الشبكة اللاسلكية للجيش العراقي، لذا فهي تعد في الوقت نفسه صورة من صور حرب المعلومات، وهذا ما اشار اليه الخبير العسكري الكولونيل كينيث الارد بأن: (الحرب على العراق ستدخل التاريخ باعتبارها الصراع الذي لعبت فيه المعلومات دورها الكامل باعتبارها احد اسلحة الحرب الاساسية وبطريقة غير مسبوقة) ، وهي تستند في ذلك الى جملة حقائق ومنها ان الولايات المتحدة الامريكية اعتمدت في الحرب التي شنت على العراق عام ٢٠٠٣ عدد كبير من منظومات الاقمار الصناعية المتطورة بالتجسس، واعداد كبيرة من العملاء وخبراء في تحليل المعلومات، الامر الذي مكن الادارة الاميركية بجميع ماتمتلكه وماوظفته من صقور وحمائم من اقناع العالم بان (صدام حسين يمتلك اسلحة دمار شامل في بلاده)، كما ساعدت منظومات اقمار التجسس الصناعية المتطورة على سرعة نقل البيانات المختلفة و زيادة سرعة تحويل المعلومات بما يضمن تنسيق عملية تحديد الاهداف لعدة صواريخ بعيدة المدى في اللحظة الاخيرة قبل عملية اطلاق الصواريخ([18]).

([16]) شيماء عادل فاضل، المعلوماتية والحروب المعاصرة نموذج تطبيقي: الحرب على العراق2003، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العد(2)، 2009، ص191.

([17]) علي عبد الأمير، الإعلام في عراق ما بعد 2003: بين الحرية والفوضى، بغداد: دار المدى، 2016، ص. 92.

([18]) شيماء عادل فاضل، مصدر سبق ذكره، ص 190.

وقد اعتبر بعض الباحثين أن هذه السياسة مثلت "تسييساً خطيراً للإعلام"، لأنها تدمج الوسائل الدعائية العسكرية بالدبلوماسية العامة، مما أفقد الأخيرة بعدها المدني المصداقي([19]).

بناءاً على ماتقدم وعلى الرغم من هذا الزخم الإعلامي والثقافي، فإن تأثير الدبلوماسية الأمريكية في العراق ظل محدوداً لأسباب بنيوية، **أولها** فقدان المصداقية نتيجة التناقض بين الخطاب الأمريكي الداعي للديمقراطية والممارسات العسكرية العنيفة على الأرض، **وثانيها** غياب الفهم الثقافي العميق للمجتمع العراقي الذي يتكون من هويات متعددة، **وثالثها** ضعف التنسيق المؤسسي بين الجهات الأمريكية المختلفة - الخارجية، الدفاع، الاستخبارات - ما جعل الرسائل الإعلامية متناقضة أحيانًا، كما أن بروز الإعلام العربي الإقليمي (الجزيرة، العربية) قوض قدرة واشنطن على احتكار السردية حول الأحداث العراقية([20]).

المبحث الرابع: تحولات الاتصال والدبلوماسية الأمريكية في العراق بعد 2011

لقد كان للانسحاب شبه الكلي للقوات الأمريكية من العراق في كانون الأول/ديسمبر 2011 بداية مرحلة جديدة في طبيعة التواجد الأمريكي، حيث تحولت واشنطن من "قوة احتلال" إلى "شريك استراتيجي" يعتمد على النفوذ السياسي والإعلامي غير المباشر، هذا التحول تطلب إعادة تعريف أدوات الدبلوماسية العامة بما يتناسب مع بيئة ما بعد الاحتلال، فتم التركيز على النفوذ الاتصالي الناعم بدل الوجود العسكري الصلب، واتبعت بهذا التحول عدد من الادوات يمكن توضيحها بما يأتي:

أولًا: الدبلوماسية الرقمية والتحول إلى الفضاء السيبراني

بعد التقدم التكنلوجي السريع وكثرة التقنيات الرقمية عملت الولايات المتحدة الامريكية منذ عام 2006 على اعتماد ادوات رقمية ضمن ما يسمى بـ "الدبلوماسية الإلكترونية"، اذ تم إنشاء مواقع إلكترونية ناطقة بالعربية، مثل موقع "America.gov"، ليقوم بنشر الرواية الأمريكية حول الأحداث في العراق، ثم توجهت الجهود لادارة وسائل التواصل الاجتماعي بعد 2010 عبر حسابات رسمية للسفارة الأمريكية في بغداد، تعمل على بث رسائل سياسية وثقافية بلغة عراقية مبسطة لتكون سهلة الفهم من قبل الجميع فقد أطلقت السفارة الأمريكية في بغداد حسابات نشطة على فيسبوك وتويتر وإنستغرام، وهي تنشر محتوى متنوعًا بين الرسائل السياسية والمبادرات الثقافية والتعليمية ، وبحلول عام 2014، أطلقت الولايات المتحدة الامريكية حملات رقمية لمكافحة التطرف بالتعاون مع نشطاء عراقيين على فيسبوك وتويتر، وهي جزء من استراتيجية "الاتصال الاستراتيجي ضد داعش([21]).

([19]) محمود خليل، الإعلام الجديد والتحولات الاتصالية في السياسة الدولية، القاهرة: عالم الكتب، 2019، ص. 153.

([20]) المصدر نفسه، ص162.

([21]) العربي العربي، الدبلوماسية الرقمية وتأثيراتها في العلاقات الدولية، مجلة لباب للدراسات الاستراتيجية والاعلامية، العدد(10)، مركز الجزيرة، الدوحة –قطر، 2021، ص123.

أصبحت الشبكات الرقمية والوسائط الاجتماعية اداة رئيسة للدبلوماسية الأمريكية في العراق، ، كما تم إنشاء منصات رقمية مثل "American Spaces in Iraq" - مراكز ثقافية إلكترونية لتعليم اللغة الإنجليزية وتنظيم فعاليات شبابية عن بعد([22])، اذ استعملت هذه الأدوات الرقمية كقنوات للحوار المباشر مع الشباب العراقي، ما أتاح للولايات المتحدة الامريكية تجاوز القيود التقليدية للإعلام المحلي، الا ان هذا الانفتاح الرقمي ترافق مع تحديات أبرزها انتشار الأخبار المضللة والمنافسة القوية من الإعلام الإيراني والروسي والإقليمي في الفضاء ذاته.

ثانياً: إعادة هيكلة العلاقة مع الإعلام والمجتمع المدني

بعد 2011، قلصت الولايات المتحدة الامريكية تدخلها المباشر في الإعلام العراقي، وبدلاً من تمويل القنوات، توجهت الى دعم منظمات المجتمع المدني المحلية من خلال تقديم منح صغيرة لبرامج تتعلق بحرية الصحافة، ومكافحة الفساد، وتمكين المرأة، هذا النهج يعد تحولاً جديداً اعتمد على "الشراكة الاتصالية" أكثر من السيطرة المعلوماتية، ليصبح الدور الأمريكي ممولاً وموجهاً بدلاً من متحدث رسمي، كما تم إدماج العراق في برامج إقليمية أوسع ضمن مبادرة "الشرق الأوسط الكبير"، التي تمولها الوكالة الأمريكية للتنمية (USAID)، الامر الذي جعل الخطاب الأمريكي أقل تمركزاً وأكثر مرونة في مخاطبة الجمهور العربي العام([23]).

ثالثاً: التحديات الاستراتيجية والبيئة الإقليمية

واجهت الولايات المتحدة الامريكية بعد انسحابها شبه الكلي من العراق تحديات كبيرة، أهمها تصاعد النفوذ الإيراني السياسي والعسكري في الداخل العراقي، اذ واجهت مقاومة ضمنية من أطراف سياسية وإعلامية محلية جعلت جهودها في إدارة الوعي محدودة، كما أن اندلاع الحرب ضد تنظيم "داعش" عام 2014 أعاد الاهتمام الأمريكي إلى البعد الأمني، لتعود بعض أنماط الدبلوماسية العسكرية السابقة ولكن بغطاء تحالفي، وخلال هذه المرحلة وظفت الولايات المتحدة الامريكية أدوات "الاتصال الاستراتيجي" (Strategic Communication) لإقناع العراقيين بضرورة الشراكة مع الولايات المتحدة الامريكية في الحرب ضد الإرهاب، و في المقابل، برز دور الصين وروسيا كفاعلين إعلاميين جدد في العراق، وهو ما جعل الساحة الاتصالية متعددة الأقطاب اذا لم تقتصر على التواجد الامريكي، وهو ما حد من التفوق الأمريكي في تشكيل الخطاب العام، وهكذا دخلت الولايات المتحدة الامريكية في "منافسة " مع قوى إقليمية ودولية، كما اصبحت إدارة الوعي أكثر تعقيدًا من السابق([24]).

([22]) حازم العزاوي، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بعد الربيع العربي، بيروت: دار ابن النديم، 2020، ص. 211.

([23]) محمد عبد القادر، الدبلوماسية الرقمية وتحولات الاتصال السياسي، القاهرة: دار النهضة العربية، 2019، ص. 75.

([24]) باسم حسن، منظمات المجتمع المدني في العراق: الواقع والدور بعد 2003، بغداد: بيت الحكمة، 2018، ص. 132.

رابعًا: التحول نحو الدبلوماسية القيمية

من أبرز التحولات في الخطاب الأمريكي بعد 2018 هو الانتقال من التركيز على الجانب الأمني إلى الترويج لـ"قيم عالمية" مثل حقوق الإنسان، وحرية التعبير، والحكم الرشيد.

بدأت الولايات المتحدة الامرييكة بتمويل مؤتمرات ومنصات حوار مدني داخل العراق تحت عناوين مثل "الشباب صناع التغيير" و"الشفافية الحكومية"، وهي مبادرات تُنفذ بالتعاون مع منظمات عراقية لكنها ممولة بالكامل من السفارة الأمريكية([25]).

يمكن القول هذا النوع من الدبلوماسية يهدف إلى بناء صورة جديدة للولايات المتحدة الامريكية كحليف ثقافي وتنموي، لاسيما بعد أن تغيرت النظرة اليها بسبب الحروب، اذ ان هذه المرحلة تمثل الجيل الثالث الذي طبقته الدبلوماسية الأمريكية في العراق وذلك بالاعتماد على الدبلوماسية الرقمية والقيمية التي تتجه نحو النفوذ المباشر، وما تعيين رجل الاعمال مارك سافايا في 2025/10/21 مبعوثاً خاصاً للعراق الا اشارة الى المحاولة الامريكية لتفعيل دبلوماسية خاصة ومباشرة بين الرئيس الامريكي الحالي "دونالد ترامب" والحكومة العراقية والقنوات الرسمية والفاعلين السياسسين العراقيين([26]).

الا أن هذا التحول لم ينهِ مشكلات الدبلوماسية الأمريكية، إذ بقيت تُواجه قلة الثقة المجتمعية، الى جانب تحدي الخطاب المناهض لها من قبل فصائل سياسية وإعلامية محلية، كما أن التركيز على الشباب والطبقة الوسطى لم ينجح في تقليص نفوذ الخطاب الممانع داخل الأوساط الشعبية.

الخاتمة

من خلال ماتقدم نجد ان دراسة حالة العراق تشير الى أن الدبلوماسية و إدارة ادوات مهمة وظفتها الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق اهدافها في العراق والتي تجمع بين والاتصال والاقتصاد والسياسة والأمن، وعلى الرغم من الجهود الامريكية الا انها واجهت عدم رضا من قبل المجتمع العراقي، اذ أثبتت التجربة الأمريكية أن أدوات القوة الناعمة دون فهم كاف للسياق الثقافي والاجتماعي ادى إلى نتائج عكسية.

ناهيك عن ان التحول في الادوات الاتصالية بعد عام 2011 والعمل على دمج الأدوات العسكرية بالدبلوماسية العامة وايجاد انواع اخرى من الدبلوماسية القيمية وغيرها لم يغير من النظرة للجانب الامريكي التي بقيت محل خشية من قبل المجتمع العراقي وبعض الفصائل المسلحة مما أنتج فجوة بين الخطاب والممارسة.

([25]) انتوني كوردسمان، الحوار الاستراتيجي الجديد: تشكيل العلاقة العراقية الامريكية، دراسات وتقارير الشرق اليوم، على الموقع الالكتروني: www.alsharqtoday.com تاريخ الدخول للموقع 2025/10/31 الساعة 4:40 p.m

([26]) تاريخ www.aljazeera.net فارس الخيام، 4عوامل وراء اختيار المبعوث الامريكي للعراق، الجزيرة نت، على الموقع الالكتروني: الدخول للموقع 2025/10/31 الساعة 4:00 p.m

إن بناء وعي إيجابي لدى المجتمع يتطلب استراتيجيات طويلة الأمد تعتمد على الشفافية والتفاعل الحقيقي، لا على الدعاية قصيرة المدى.

المصادر:

1- ابراهيم العساف، التحولات السياسية والاقتصادية في العراق بعد عام2003، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد(55)،2018.

2- د.فاضل محمد زكي، الدبلوماسية في عالم متغير، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1992.

3- د.منى حسين عبيد، السياسة الخارجية والاداء الدبلوماسي العراقي، المجلة السياسية والدولية، العدد (41-42)، 2019، الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية.

4- جوزيف ناي، القوة الناعمة: وسيلة للنجاح في السياسة العالمية، نيويورك: PublicAffairs، 2004.

5- د فرزدق علي التميمي، التنمية السياسية وازماتها في العراق بعد عام2003، مركز الرافدين للحوار، بيروت-لبنان، 2021.

6- نغم نذير شكر، البناء السياسي في العراق بعد عام2003(الواقع وافاق المستقبل)، مجلة حمورابي، العدد(50)، بغداد، 2024.

7- فالح عبد الجبار، الدولة والمجتمع المدني في العراق بعد 2003، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

8- هاشم حسن، الإعلام والديمقراطية في العراق الجديد، بغداد: جامعة بغداد، 2014.

9- شيماء الهواري، وسائل الاعلام وصنع السياسة الامريكية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2017.

10- عبد الجبار أحمد، الإعلام والسياسة في عراق ما بعد 2003، بغداد: دار المدى، 2018.

11- إياد العلي، الاتصال السياسي وإدارة الأزمات في الشرق الأوسط، عمان: دار وائل للنشر، 2016.

12- عمر عبد الكريم، الدبلوماسية العامة الأمريكية في العراق: دراسة تحليلية، بيروت: المركز العربي للأبحاث، 2020.

13- شيماء عادل فاضل، المعلوماتية والحروب المعاصرة نموذج تطبيقي: الحرب على العراق2003، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العد(2)، 2009.

14- محمود خليل، الإعلام الجديد والتحولات الاتصالية في السياسة الدولية، القاهرة: عالم الكتب، 2019.

15- علي عبد الأمير، الإعلام في عراق ما بعد 2003: بين الحرية والفوضى، بغداد: دار المدى، 2016.

16- العربي العربي، الدبلوماسية الرقمية وتأثيراتها في العلاقات الدولية، مجلة لباب للدراسات الاستراتيجية والاعلامية، العدد(10)، مركز الجزيرة، الدوحة –قطر، 2021.

17- محمد عبد القادر، الدبلوماسية الرقمية وتحولات الاتصال السياسي، القاهرة: دار النهضة العربية، 2019.

18- حازم العزاوي، الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بعد الربيع العربي، بيروت: دار ابن النديم، 2020.

19- باسم حسن، منظمات المجتمع المدني في العراق: الواقع والدور بعد 2003، بغداد: بيت الحكمة، 2018.

المصادر الانكليزية

1- Philip Taylor, Munitions of the Mind: A History of Propaganda from the Ancient World to the Present Day, Manchester University Press, 2003.

2- Adeed Dawisha, Iraq: A Political History from Independence to Occupation, Princeton University Press, 2009 .

الانترنت

1- تقرير منظمة امديست، برنامج فولبرايت، بغداد، 2023، على الموقع الالكتروني: https://www.amideast.org/ar/our-work/find-a-scholarship/graduate-study/fulbright/how-to-apply/7 تاريخ الدخول للموقع 2025/10/29

2- انتوني كوردسمان، الحوار الاستراتيجي الجديد: تشكيل العلاقة العراقية الامريكية، دراسات وتقارير الشرق اليوم، على الموقع الالكتروني: www.alsharqtoday.com تاريخ الدخول للموقع 2025/10/31 الساعة 4:40 p.

3- فارس الخيام، 4عوامل وراء اختيار المبعوث الامريكي للعراق، الجزيرة نت، على الموقع الالكتروني: www.aljazeera.net تاريخ الدخول للموقع 2025/10/31 الساعة 4:00 p.m